



لم يكتف أبو محمد الجولاني برفض مخرجات مباحثات أنقرة بين فصائل من الجيش السوري الحر (سبعة فصائل) وضباط روس يوم 29/12/2016، وموافقتها على الدخول في وقف إطلاق نار، والمشاركة في مفاوضات أستانة، فحسب، بل صعد في الخصومة باتهام هذه الفصائل بخيانة "الجهاد الشامي"، ودخل في مواجهة ميدانية مباشرة معها مصحوبة بدعوة إلى توحيد الفصائل لمواجهة ما يعتبرها مخططات تأميرية برعاية أجنبية، حيث هاجمت قوات جبهة فتح الشام (جبهة النصرة سابقا) يوم 24/1/2017 مقرّات "جيش المجاهدين" و"الجبهة الشامية" في محافظة إدلب وريف حلب، على خلفية مشاركتها في مباحثات أستانة، وتحرك سياسيا لتشكيل تحالف عسكري جديد، بالاتفاق مع فصائل مصنفة معتدلة (حركة نور الدين الزنكي ولواء الحق وجبهة أنصار الدين وجيش السنة والتيار المتشدد في حركة أحرار الشام) تحت اسم "هيئة تحرير الشام"، وقد أعلن عن ولادته يوم 28/1/2017 مع دعوة كلّ الفصائل إلى الانضمام إليه "من أجل الوحدة وتحقيق أهداف الثورة المتمثلة في إسقاط النظام وإقامة الشريعة"، تذوب فيه جبهة فتح الشام، تجنياً لعراضها لعملية عسكرية لإخراج "الجبهة" من المشهد السياسي "من أجل تمرير حل سياسي فيسورية، باتفاق قوى دولية وإقليمية"، وفق إعلان قادتها. وقد عكست ممارسات "الهيئة" وتعاطيها مع فصائل المعارضة، المصنفة معتدلة، سعيها المحموم إلى السيطرة العسكرية والسياسية على قوى الثورة وتوجيهه فعالياتها لمواجهة مخرجات أستانة ومفاضات جنيف، وإجهاضهما لصالح رؤية سلفية، لا تنسجم مع أهداف الثورة في الحرية والكرامة (اعتبرت في بيان لها يوم 10/5/2017 الاتفاق على تخفيف التوتر، والذي وقعته الدول الضامنة في أستانة، مؤامرة، والموافقة عليه "خيانة له ولرسوله وللمؤمنين، وللدماء التي سُفكَت في سبيل تحرير المسلمين في الشام"، وقتل فصائل المعارضة المتوقع مشاركتها في عملية عسكرية تركية مرتبة "فرض عين على كل مسلم").

يلمس متابع مواقف أبي محمد الجولاني، وتكلباته السياسية والميدانية، تكراره خطواتٍ سبق أن قام بها، فقد كان رد فعله الأول والأخير على تحولات المشهد السياسي في أستانة و جنيف واحداً: الهجوم على فصائل المعارضة المعتدلة، والسيطرة على مواقعها وأسلحتها وتصفيتها، ما لم تقبل الرضوخ لقراراته وخياراته، من دون ملاحظة أن عمليةً من هذا القبيل لن تحدث تغييراً في التوازنات، وإنقلاباً في التحولات الجارية على صعيدِ السياسة والميدان، بل إنها، في جوانب كثيرة منها، ذاتُ أثرٍ عكسي، إنْ لجهةِ متربياتها الإقليمية والدولية، بصيغها مناطق سيطرةِ المعارضة باللون الأسود الذي يرمز إلى سيطرةِ التطرف والإرهاب، وجعلها هدفاً مشروعاً لقواتِ النظام وحلفائه، ولضرباتِ التحالف الدولي في آن. ما يعكس افتقاره إلى قدراتٍ (وإمكانيات) خرقِ المعادلة وتغييرِ توازناتِ القوى على الأرض، وفقرِ خياله، وعجزه عن التوقع والتصور والخطيط للتأثير على التحولات والتغيرات، وتحاشي الواقع في أسرها، وفي الكائن والفاخ التي نسبتها القوى المحلية والإقليمية والدولية، من أجل إحكامِ الطوق على قوى الثورة، وشنِّ قدرتها على الفعل والحركة، ودفعها نحوِ الإسلام، الذي كشف عن فقرِ خياله ذهابه إلى مواجهة قوى الثورة، وضربها عسكرياً بذريةٍ منعها من المشاركة في مؤامرة دولية ضد "الهيئة"، وتقديمه خدمة مجانية للنظام وحلفائه.

لم تختلف استجابة أبي محمد الجولاني، وأركان قيادة هيئة تحرير الشام، على دعواتِ تجنيبِ محافظة إدلبِ مصيرِ الموصل والرقة (مجازرِ دمار وتهجيرِ المدنيين) التي طرحتها قوىِ معارضة ودول حليفة، واشتملت على دعوة "الهيئة" إلى حلِّ نفسها من أجل رفعِ اللونِ الأسود عن المحافظة الذي ترتب على هجومها أخيراً على موقعِ حركةِ أحرارِ الشام الإسلامية، وسيطرتها على معظمِ المحافظة، وإعادةِ اللونِ الأخضر إليها. فقد رفضت الدعوة، واعتبرتها مقدمةً "لإنها الثورة"، وجزءاً من خطة دولية "لإبقاء على الأسد وتضييع دم الشهداء"، واعتبرت تمثيل منصاتِ الرياض وموسكو والقاهرة للثورة باطلاً، وربطت موافقتها على الحلِ السياسي بـ "تضمنه مبادئ الثورة السورية وأهدافها"، وفق ما جاء في خطبة جمعية القادة العام "الهيئة" هاشمِ الشيخ، المكنى بأبي جابر في مسجدِ مدينةِ بنش في محافظة إدلب، علماً أنَّ تصورَ الجولاني وـ "الهيئة" أهداف الثورة يتعارض مع تصور قوى الثورة وحواضنها الاجتماعية، ولا يحظى بقبول حتى فصائلِ تبني التوجهِ السلفي، وقد جددَ الشيخُ الدعوة إلى "مشروع جامع يوضع له برنامج يرتكز على جهة سياسية تمثل الشعب، وجهة عسكرية تحمي الشعب"، في عودةٍ واضحةٍ إلى منطلقاتِ جبهة النصرة لأهلِ الشام التي لا ترى في التصوراتِ السياسية والقوى العسكرية الأخرى إلا مشروعَ تامر وخيانة، تصفها، في أدبياتها، بالردة، وتضعها تحت سيفِ القصاصِ بشرعنةِ قتالها دينياً، وفق قراءتها للإسلام، والتي تراهن على قدراتها التنظيمية والعسكرية، للهيمنة على أي تحالفٍ تشارك فيه مع قوى سياسية وعسكرية، لا تمتلك إمكاناتٍ، أو قدراتٍ، توازن إمكاناتها وقدراتها.

كان الجولاني، وأركان قيادةِ الهيئة، قد استبقوا الدعوة إلى تجنيبِ محافظة إدلبِ المجازرِ والدمار، بالدعوة إلى إدارةِ مدينةِ المحافظة، وانخراطِ الفصائلِ المسلحة في تحالف عسكري جديد، يتبنى خططاً لحمايةِ المواجهةِ للمواجحةِ المدنيين، والعمل على تحقيقِ أهدافِ الثورة، من دون اتفاقٍ على ماهيةِ هذهِ الأهداف، في محاولةٍ منهم للتفريطِ على سيطرتها على المحافظة، واحتواءِ الدعوة إلى تحريرها من التطرفِ بالتلطی خلفِ الإدارةِ المدنيةِ والحكومةِ المؤقتة، والمحافظة على تدفقِ المساعداتِ الإنسانية على المحافظة في الوقتِ نفسه، لتحاشي تحملِ تبعاتِ انقطاعِها، إلا أنَّ إحجامَ معظمِ الفصائلِ عن الاستجابةِ للدعوةِ أعادَ الموقف إلى المربعِ الأول، ودفعَ الجولاني وـ "الهيئة" إلى تقديمِ ردِّ مباشر على دعوة "الهيئة" إلى حلِّ نفسها، بدعاوةِ الأطرافِ

الأخرى إلى حل نفسها، والدخول في جسم سياسي واحد، والتصدي لدعوات التدخل الخارجي في المحافظة. نسي الجولاني وقادة "الم الهيئة" ما زرعوا وما ورثوا من جراحٍ وعداواتٍ بحربيهم ضد فصائل الجيش السوري الحر، وبطشهم بالحواضن الاجتماعية، وأنهم الآن وسط محيط معاد ورافض، ليس لتصوراتهم فقط، بل ولوجودهم في المحافظة، وإن دعوتهم الفصائل إلى التحالف، والعمل على مشروع سياسي وعسكري موحد، ليست إلا مواصلة لسياسة الهروب إلى الأمام التي أتبعتها في مواجهة التطورات والتغيرات المتلاحقة.

العربي الجديد

المصادر: